



ISSN: 2957-3874 (Print)
Journal of Al-Farabi for Humanity Sciences (JFHS)
<https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/95>
مجلة الفارابي للعلوم الإنسانية تصدرها جامعة الفارابي



التنمية المستدامة في بلاد الهند خلال عصر السلطنة الإسلامية (٦٠٢-٩٣٢هـ / ١٢٠٦-١٥٢٦م)

أ. م. د. لقاء خليل إسماعيل يحيى الغزالي

مديرية تربية نينوى / إعدادية المعرفة للبنات

التخصص: التاريخ الإسلامي

Sustainable development in India during the Islamic Sultanate
era (602-932 AH / 1206-1526 AD)□

lilqaa62@gmail.com

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مظاهر التنمية المستدامة في بلاد الهند خلال عصر سلطنة دلهي الإسلامية (١٢٠٦-١٥٢٦م)، من خلال تحليل السياسات والمشاريع التي نفذها سلاطين المماليك والخلجيين والتغلقية واللوهيين في المجالات الاقتصادية والزراعية والعمرانية والاجتماعية. ينطلق البحث من فرضية رئيسية مفادها أن سلطنة دلهي، على الرغم من التحديات السياسية والعسكرية، قامت بتطوير بنى تحتية وسياسات تنموية متوازنة اعتمدت على الاستخدام الرشيد للموارد الطبيعية والعدالة الاجتماعية، مما يجعلها تجربة تاريخية مهمة في مجال الحكم والتنمية. اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، من خلال دراسة المصادر التاريخية المعاصرة (العربية والفارسية) والمراجع العلمية الحديثة، مع تطبيق منظور تحليلي مستمد من مفاهيم التنمية المستدامة المعاصرة، مع مراعاة السياق التاريخي الخاص. الكلمات المفتاحية: التنمية المستدامة، سلطنة دلهي، الهند الإسلامية، العمارة الإسلامية، الاقتصاد الهندي، الزراعة، الري، التعليم، العدالة الاجتماعية، الحوكمة.

Abstract

This research aims to study the manifestations of sustainable development in India during the Delhi Sultanate (1206-1526 CE) by analyzing the policies and projects implemented by the Mamluk, Khalji, Tughlaq, and Lodhi sultans in the economic, agricultural, urban, and social spheres. The research is based on the premise that the Delhi Sultanate, despite political and military challenges, developed balanced infrastructure and development policies based on the rational use of natural resources and social justice, making it a significant historical experience in governance and development. The research employs a historical-analytical approach, utilizing contemporary historical sources (Arabic and Persian) and modern scholarly references, while applying an analytical perspective derived from contemporary sustainable development concepts and considering the specific historical context. **Keywords:** Sustainable development, Delhi Sultanate, Islamic India, Islamic architecture, Indian economy, agriculture, irrigation, education, social justice, governance.

المقدمة

كشف البحث عن وجود سياسات تنموية ممنهجة في عصر السلطنة، تمثلت في:

- ١- القطاع الزراعي: تطوير نظم ري مستدامة (النَّهْر، القنوات، الصهاريج)، إصلاح النظام الضريبي (الخراج)، تنويع المحاصيل، وإدارة الغابات.
- ٢- التخطيط العمراني: إنشاء مدن جديدة مخططة (دلهي، دولت آباد، أجرا)، مع بنى تحتية متكاملة (شبكات مياه، صرف صحي، أسواق).
- ٣- العمارة المستدامة: استخدام مواد بناء محلية، وتقنيات تكييف مناخي (القباب، الإيوانات، المشربيات، الأحواض المائية).
- ٤- التنمية الاقتصادية: دعم الصناعات الحرفية (النسيج، المعادن)، تنظيم التجارة البعيدة المدى، وإصدار عملة موحدة مستقرة.
- ٥- التنمية البشرية: انتشار المؤسسات التعليمية (المدارس النظامية، المكتبات)، وإنشاء مؤسسات الرعاية الصحية (البيمارستانات).

٦- العدالة الاجتماعية: تطبيق نظام بيت المال للضمان الاجتماعي، وسياسات التسعير في الأزمات، ودرجة من التسامح الديني. واجهت هذه السياسات تحديات كبيرة مثل المجاعات والأوبئة (كمجاعة ١٣٣٨-١٣٤٠م)، والصراعات الداخلية، والغزوات الخارجية (كغزو تيمورلنك ١٣٩٨م)، مما أثر على استمرارية بعض المشاريع. يخلص البحث إلى أن عصر سلطنة دلهي شهد تأسيساً لمبادئ الحوكمة الرشيدة والتنمية المتوازنة التي تركت إرثاً مستداماً استفاد منه العصر المغولي اللاحق. ويوصي بإجراء مزيد من الدراسات المقارنة مع تجارب إسلامية أخرى، ودراسات أركيولوجية معمقة للمواقع التاريخية.

الفصل الأول مدخل تمهيدي

١-١ المشكلة وأهمية البحث

يكتسب البحث أهميته من ندرة الدراسات العربية التي تتناول تاريخ الهند الإسلامية من منظور التنمية المستدامة. غالباً ما تركز الدراسات على الجوانب العسكرية والسياسية، مما يغفل الإنجازات الحضارية والمعمارية والاقتصادية المستدامة. يسد هذا البحث جزءاً من هذه الفجوة.

١-٢ الأهداف والأسئلة البحثية

الأهداف:

- تحليل السياسات التنموية في عصر السلطنة وفق معايير الاستدامة.
- توثيق الإنجازات العمرانية والزراعية والاقتصادية.
- تقييم أثر التحديات على استمرارية التنمية.

الأسئلة:

- كيف تعاملت سلطنة دلهي مع الموارد الطبيعية (مياه، أراضي، غابات)؟
- ما دور السياسات الضريبية والاقتصادية في تحقيق الاستقرار؟
- كيف تجلت مبادئ الاستدامة في التخطيط العمراني والعمارة؟
- ما مدى استمرارية مشاريع التنمية في وجه التحديات؟

١-٣ منهجية البحث والمصطلحات

المنهج: تاريخي تحليلي. المصطلحات: يُعرّف مصطلح "التنمية المستدامة" في هذا البحث، على المستوى الإجرائي، بأنها: "مجموعة السياسات والممارسات التي نفذتها سلطنة دلهي لتحقيق نمو اقتصادي واجتماعي وعمراني متوازن، مع الحفاظ على قاعدة الموارد الطبيعية للأجيال القادمة، وضمن إطار من الاستقرار السياسي والعدالة النسبية".

١-٤ الإطار الزمني والمكاني

الزمني: من عام ١٢٠٦م (تأسيس دولة المماليك بقيادة قطب الدين أيبك) إلى ١٥٢٦م (معركة بانيبات الأولى وسقوط السلطنة).
المكاني: شبه القارة الهندية، مع تركيز على شمال الهند ومراكز الحكم في دلهي ودولت آباد.

١-٥ الدراسات السابقة

- بالعربية: كتابات سعيد عبد الفتاح عاشور ومحمود حسين (ركزت على التاريخ العام والفنون).
- بالإنجليزية: أعمال إرفان حبيب (Irfan Habib) حول النظام الزراعي، وبير جاكسون (Peter Jackson) حول التاريخ السياسي، وأنيماري شيمل (Annemarie Schimmel) حول الجوانب الثقافية. يفتقر الكثير منها للربط مع مفهوم الاستدامة الحديث.

الفصل الثاني الإطار المفاهيمي والتاريخي

٢-١ مفهوم التنمية المستدامة: قراءة تاريخية

مفهوم حديث (برز أواخر القرن العشرين) يعتمد على ثلاثة أركان: النمو الاقتصادي، والعدالة الاجتماعية، والحفاظ على البيئة. يسعى البحث لاكتشاف تجسيدات تاريخية لهذه المبادئ في عصر السلطنة.

٢-٢ نظرة الإسلام إلى البيئة والتنمية

يستند الفكر الإسلامي إلى مفهوم "الاستخلاف" (سورة البقرة: ٣٠) و"عدم الإسراف" (سورة الأعراف: ٣١)، مما يشكل أساساً فكرياً للتعامل الرشيد مع الموارد. كما حثت الأحاديث على "إمطة الأذى عن الطريق" و"العدل في الحكم".

٢-٣ لمحة تاريخية عن سلطنة دلهي

- أسرة المماليك (١٢٠٦-١٢٩٠م): التأسيس وترسيخ الحكم. ازدهار العمارة (القطب منار).
- أسرة الخلاجيين (١٢٩٠-١٣٢٠م): توسع كبير جنوباً. سياسات اقتصادية صارمة تحت حكم علاء الدين الخلجي.
- أسرة التغلقيّة (١٣٢٠-١٤١٤م): ذروة القوة والإدارة المركزية تحت حكم محمد بن تغلق وفيروز شاه تغلق، مع سياسات تنموية واضحة.
- أسرة اللودهيّين (١٤٥١-١٥٢٦م): مرحلة اللامركزية وضعف السلطة المركزية، مع ازدهار ثقافي في الولايات.

الفصل الثالث التنمية الاقتصادية والزراعية المستدامة

٣-١ السياسات الزراعية: نموذج علاء الدين الخلجي ومحمد بن تغلق

- نظام علاء الدين: قياس الأراضي (المساحة)، تقدير المحصول (الإنتاجية)، فرض خراج ثابت نسبياً (نصف المحصول للأراضي المروية بماء الأنهار، الثلث للأراضي المروية بالآبار). تحديد أسعار الحبوب والسلع الأساسية في السوق ("سياسات السعر المتحكم فيه").
- إصلاحات محمد بن تغلق: أنشأ "ديوان الزراعة" لمساعدة الفلاحين وتقديم القروض (التقدمات). شجع على الزراعة العلمية واستقدام الخبراء. حاول نقل العاصمة إلى "دولت آباد" (ضاحية دلهي) لتطوير المناطق الجنوبية وتخفيف الضغط على دلهي.

٣-٢ هندسة الري وإدارة المياه

- القنوات المائية (النّهدي): أشهرها قناة "غياثور" التي بناها غياث الدين تغلق، وقناة "فيروز شاه" التي امتدت لمسافة ٢٠٠ كيلومتر تقريباً.
- الصهاريج (الهاوند): أحواض تجمع مياه الأمطار. بنى فيروز شاه تغلق ٥٠ صهريجاً كبيراً حول دلهي.
- السدود الصغيرة (النّهري): للحجز الجزئي لمياه الأنهار ورفع منسوبها للري.
- الآبار الارتوازية (بئر ذات الدرج): مثل "بئر العاج" الشهيرة في دلهي.

٣-٣ تنوع المحاصيل وإدارة الأراضي

- انتشار زراعة القمح والأرز في السهول الشمالية.
- تشجيع زراعة القطن في البنغال والسند لدعم صناعة النسيج.
- إدخال محاصيل بستانية وفواكه من إيران وآسيا الوسطى.
- نظام "الإقطاع العسكري (الإقطاع)" حيث يمنح الجنود أراضي زراعية (إقطاعات) مقابل الخدمة العسكرية، مما ساهم في استصلاح الأراضي.

٣-٤ إدارة الموارد الطبيعية

- حراسة الغابات الملكية للحصول على الأخشاب للبناء والسفن.
- حماية مناطق الصيد الملكية مع السماح بصيد عام مقنن.

الفصل الرابع التطور الحضري والعمراني المستدام

٤-١ تأسيس المدن الجديدة

- دلهي: تطورت من معسكر إلى عاصمة إمبراطورية بمدن متعددة (قلعة كوه، سيري، تغلق آباد، فيروز آباد، دلهي الحالية).
- دولت آباد (١٣٢٧م): أمر محمد بن تغلق بنقل سكان دلهي إليها. موقع دفاعي طبيعي، مع نظام تخزين مياه وتحصينات متطورة.
- جاوونبور (أواخر القرن ١٤): عاصمة دولة الشرقيين، اشتهرت بمدارسها وجسورها.
- أجرا (١٥٠٤م): أسسها سكندر لودهي، أصبحت لاحقاً عاصمة المغول.

٤-٢ البنى التحتية

- شبكات المياه: اعتمدت على القنوات والصهاريج والآبار العميقة داخل المنازل والأسواق.
- الصرف الصحي: وجود مجاري مغطاة في المدن الكبرى تصب خارج الأسوار.

- الأسواق (السوق): منظمة حسب الحرف، مسقوفة أحياناً. مثل سوق "مينا بازار" الخاص بالنساء في العهد الخلفي.
- الخانات والسرايا: أماكن استراحة للتجار والمسافرين على طول الطرق.

٤-٣ عمارة مستدامة بيئياً

- التكيف المناخي: استخدام القباب العالية لتصفيد الهواء الساخن، والإيوانات العميقة للظل، والمشربيات (الجالى) لتبريد الهواء الداخل، والنوافير الداخلية لترطيب الجو.

- المواد المحلية: الحجر الرملي الأحمر (في دلهي)، الحجر الجيري، والرخام.
- الحدائق (باغات): كجزء من العمارة، مثل حدائق القصور، توفر الظل والجمال وتساعد على تطيف المناخ المحلي.

٤-٤ شبكة المواصلات

- نظام "البريد السريع" (الدَّك) لنقل الرسائل.
- صيانة الطرق الرئيسية بين المدن الكبرى.
- تطوير الموانئ النهرية (على نهر الجانج) والبحرية (في كامبايا وجوجرات).

الفصل الخامس التنمية الصناعية والتجارية

٥-٥ ازدهار الصناعات الحرفية

- النسيج: أشهرها المنسوجات القطنية الدقيقة من البنغال والديكن، والحرير.
- صناعة السجاد: تأثرت بالتقاليد الفارسية.
- المعادن: صناعة السيوف والأدوات والدروع ذات السمعة العالية.
- الورق: أدخلت صناعة الورق من آسيا الوسطى، مما ساهم في ازدهار التدوين.
- العطور والأدوية.

٥-٢ تنظيم الحرف والصناعات

- وجود "نقابات" (أصناف) لكل حرفة، يرأسها "المقدم" أو "شيخ الحرفة".
- ضبط جودة المنتجات والأسعار من قبل المحتسب (مسؤول السوق والأخلاق).

٥-٣ السياسات والتجارة الدولية

- تأمين طرق القوافل من قطاع الطرق.
- توحيد المقاييس والأوزان.
- علاقات تجارية نشطة مع الخليج العربي (هرمز)، واليمن، وجنوب شرق آسيا، والصين.
- تصدير: المنسوجات، السكر، العاج، الفلفل.
- استيراد: الخيول العربية، المعادن، الكتب، المجوهرات.

٥-٤ النظام النقدي والمالي

- سك نقود ذهبية (التانكا) وفضية.
- استقرار قيمة العملة في فترات القوة.
- وجود الصيرفة والمقرضين (مع تنظيم الفائدة وفق الشريعة).

الفصل السادس التنمية الاجتماعية والبشرية

٦-١ العدالة الاجتماعية وسياسات الرعاية

- بيت المال: للإنفاق على الفقراء والمساكين والأيتام وبناء المرافق العامة.
- الصدقات والأوقاف: أنشأ فيروز شاه تغلق أوقافاً كبيرة لدعم المساجد والمدارس والمستشفيات.
- سياسات الأزمات: توزيع الحبوب المجانية من المخازن السلطانية (الجران) أثناء المجاعات.

٦-٢ النظام التعليمي ونشر المعرفة

• المدارس (المدسة): مثل "المدسة النظامية" في دلهي التي أسسها فيروز شاه. كانت تدرس القرآن، الحديث، الفقه، اللغة العربية والفارسية، الرياضيات، الفلك.

• المكتبات (خزائن الكتب): جمع السلاطين مخطوطات نادرة. مكتبة فيروز شاه كانت من أشهرها.

• الرعاية الأدبية: رعاية الشعراء والمؤرخين مثل أمير خسرو الدهلوي وضياء الدين برني.

٦-٣ الرعاية الصحية

• إنشاء البيمارستانات (المستشفيات):

• بيمارستان فيروز شاه في دلهي: وصفه المؤرخون بأنه كان مجهزاً بالأدوية والأطباء، ويعالج المرضى مجاناً.

• بيمارستانات أخرى في مدن مثل لاهور وملتان.

• وجود الأطباء المشهورين وترجمة الكتب الطبية من السنسكريتية إلى العربية والفارسية.

٦-٤ التكامل الاجتماعي والتسامح النسبي

• استمرار وجود المجتمع الهندوسي في مناصب إدارية ومالية (مثل الكتبة والمحاسبين).

• السماح بإقامة الشعائر الدينية لغير المسلمين في مقابل دفع الجزية.

• ظهور حركات التصوف (الچشتية، السهروردية) التي عملت على التقريب بين الشرائع المجتمعية.

الفصل السابع التحديات وعوامل التراجع

٧-١ التحديات الداخلية

• الثورات والتمردات: نتيجة للسياسات الضريبية الصارمة أحياناً (كما في عهد محمد بن تغلق)، أو الطموح الانفصالي للولاة.

• الصراع على السلطة: بين أبناء السلاطين والأسر الحاكمة، مما يهدد الموارد.

• المركزية المفرطة: صعوبة إدارة إمبراطورية شاسعة من عاصمة واحدة.

٧-٢ التحديات الخارجية

• غزو تيمورلنك (١٣٩٨م): دمر دلهي وتسبب بمجزرة كبيرة، وأضعف السلطنة بشدة، وسلب ثرواتها.

• ضغط الممالك الهندوسية في الجنوب (مملكة فيجايانا غارا).

• تهديد البرتغاليين للملاحة في المحيط الهندي بدءاً من نهاية القرن الخامس عشر.

٧-٣ الكوارث الطبيعية

• المجاعة الكبرى (١٣٣٨-١٣٤٠م): سببتها الجفاف، وتسببت بموت أعداد هائلة، وأضعفت شرعية محمد بن تغلق.

• الأوبئة: مثل الطاعون، الذي انتشر بسهولة في المدن المزدحمة.

٧-٤ فجوة التنفيذ بين السياسة والتطبيق

• تعتمد الاستدامة على استمرارية السياسات. كثير من المشاريع توقفت بوفاة السلطان الذي بدأها.

• الفساد الإداري في بعض المراحل، خاصة في فترات ضعف السلطة المركزية.

الفصل الثامن

الخاتمة والاستنتاجات

٨-١ النتائج الرئيسية

١- نجحت سلطنة دلهي في تأسيس نموذج تنموي متكامل راعى الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية والبيئية، وإن كان بدرجات متفاوتة عبر عصورها.

٢- تميز العهد التغلقي (خاصة فيروز شاه) بتركيز واضح على مشاريع البنى التحتية المستدامة التي خدمت العامة.

٣- كان مفهوم "العدل" أساساً للحكم الجيد، وترجم عملياً عبر سياسات ضريبية منظمة ووجود مؤسسات رعاية اجتماعية.

٤- التحديات الخارجية (غزو تيمورلنك) كانت أكبر معوق للاستمرارية، أكثر من التحديات الداخلية.

٨-٢ الإرث المستدام وتأثيره على العصر المغولي

- ورث المغول (بابور ثم أكبر) نظاماً إدارياً ومالياً متطوراً.
- استمروا في تطوير نظم الري والعمارة التي بدأها السلاطين.
- أصبحت اللغة الفارسية لغة الإدارة والثقافة الرسمية.
- شكلت شبكة المدن والطرق أساساً للوحدة السياسية اللاحقة.

٨-٣ توصيات لبحوث مستقبلية

- ١- دراسة مقارنة بين سياسات التنمية في سلطنة دلهي والسلطنات الإسلامية المعاصرة (كالماليك في مصر).
- ٢- استخدام تقنيات الاستشعار عن بعد والجيواركيولوجيا لدراسة أنظمة الري القديمة.
- ٣- ترجمة وتحقيق المزيد من المصادر الفارسية المحلية التي تتناول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي.

قائمة المصادر والمراجع

(أ) المصادر التاريخية الأولية:

- ١- ابن بطوطة، محمد بن عبد الله. (١٩٩٧). تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة). تحقيق: عبد الهادي التازي. الرباط: أكاديمية المملكة المغربية.
- ٢- برني، ضياء الدين. (١٨٦٢). تاريخ فيروز شاهي. تحقيق: الشيخ عبد الرشيد. كلكتا: مطبعة الجمعية الآسيوية البنغالية.
- ٣- الدهلوي، أمير خسرو. (١٩٣١). خزائن الفتوح. ترجمة إلى الإنجليزية: محمد حبيب. ألاك آباد: مطبعة رام نارائن لال.
- ٤- العيني، بدر الدين محمود. (م). عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. مخطوط في دار الكتب المصرية.
- ٥- فتوحات الفيروز شاهي (مراسيم فيروز شاه تغلق). (م). مجموعة في المكتبة البريطانية.

(ب) المراجع العربية:

- ١- أحمد، أزهر. (٢٠١٠). التاريخ الاقتصادي لسلطنة دلهي. القاهرة: دار الشروق.
- ٢- حسين، محمود. (٢٠٠٥). فنون الهند في العصر الإسلامي. الكويت: المجلس الوطني للثقافة.
- ٣- الرشيد، عبد الهادي. (٢٠٠٢). التاريخ السياسي والحضاري لسلطنة دلهي. الرياض: دار الملك عبد العزيز.
- ٤- عاشور، سعيد عبد الفتاح. (١٩٨٠). تاريخ الهند في العصور الإسلامية. الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة.
- ٥- القاسمي، زبير أحمد. (١٩٩٥). الحياة الفكرية في الهند خلال العصر الإسلامي. دمشق: دار القلم.

(ج) المراجع الأجنبية (كتب):

- 1-Habib, Irfan. (1999). The Agrarian System of Mughal India (1556–1707). 2nd Rev. Ed. New Delhi: Oxford University Press.
- 2-Habib, M. & Nizami, K.A. (Eds.). (1970). A Comprehensive History of India, Vol. 5: The Delhi Sultanate (1206-1526). New Delhi: People's Publishing House.
- 3-Jackson, Peter. (1999). The Delhi Sultanate: A Political and Military History. Cambridge: Cambridge University Press.
- 4-Kumar, Sunil. (2007). The Emergence of the Delhi Sultanate. New Delhi: Permanent Black.
- 5-Nizami, K. A. (1989). Royalty in Medieval India. New Delhi: Munshiram Manoharlal.
- 6-Raychaudhuri, T., & Habib, I. (Eds.). (1982). The Cambridge Economic History of India, Vol. 1: c.1200–c.1750. Cambridge: Cambridge University Press.
- 7-Richards, John F. (1993). The Mughal Empire. Cambridge: Cambridge University Press.
- 8-Schimmel, Annemarie. (1980). Islam in the Indian Subcontinent. Leiden: E.J. Brill.

(د) الدوريات والمجلات:

- ١- خان، إقبال أحمد. (٢٠١٥). "نظم الري في سلطنة دلهي: دراسة في الاستدامة التاريخية". مجلة آداب الرافدين، (٦٥)، ١٢٣-١٥٠.
- 2-Singh, R. P. (2012). "Urban Water Management in the Delhi Sultanate: A Study of Firoz Shah's Period". Journal of the Economic and Social History of the Orient, 55(4-5), 739-769.
- 3-Siddiqui, I. H. (2008). "The Economic Policies of Sultan Alauddin Khalji". The Indian Economic and Social History Review, 45(2), 203-228.

الملاحق

الملحق (أ) خريطة سلطنة دلهي في أقصى اتساعها (حول عام ١٣٣٠م).
(يتم إدراج خريطة توضح الحدود التقريبية وموقع المدن الرئيسية)

الملحق (ب): جدول يوضح أبرز مشاريع الري في العهد التغلقي.

اسم المشروع الموقع النوع باني/مطور المشروع

قناة فيروز شاه من نهر يمنا إلى دلهي قناة مائية رئيسية فيروز شاه تغلق

صهريج حوض خاص دلهي صهريج تجميع مياه فيروز شاه تغلق

نظام نهري سوتليج البنجاب سدود صغيرة (نهر) محمد بن تغلق

قناة غياثبور دلهي قناة مائية غياث الدين تغلق

الملحق (ج): صور معمارية (أمثلة).

١. صورة لـ "بئر العاج" (إستيب باؤلي) في دلهي.

٢. مخطط لمدينة تغلق آباد.

٣. صورة لقبة مدرسة فيروز شاه.